﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [البقرة: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تقعُ هذه الآية من سابقاتها موضع السّبب من النّتيجة، وإن قدّم النّتيجة لشرفها؛ فـ"هذه الآية مُؤخَّرة في التّلاوة، مُقدَّمة في المعنى؛ لأنّ السّبب في الأمر بذبح البقرة قتل النّفس، فتقدير الكلام: وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها، فسألتم موسى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾" [البقرة: 67][1].

وقد "ابتدأ بأشرف القصدين من معنى التّشريع الّذي هو القائم على أفعال الاعتداء وأقوال الخصومة"[2]

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿قَتَلْتُمْ﴾: من الجذر اللّغويّ (قتل)، و"القتلُ معروف، يُقال: قَتَله إذا أَمَاتَهُ بضربٍ أَو حجر أَو سمّ أَو علّة، والمنيّة قاتلة"[3].

والأصل في معنى القتل "يدُلُّ على إذلالٍ وإماتَةٍ. يُقالُ: قَتَلَهُ قَتلًا. والقِتلَةُ: الحالُ يُقتَلُ عليها. يُقالُ: قَتَلَهُ قِتلَةَ سُوءٍ. والقَتْلَةُ: المَرَّةُ الواحِدَةُ"[4]، وقد لا يكون بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التّوبة: 30]، ومعناه "لعنهم الله أنّى يُصرفون، وليس هذا من القتالِ الَّذي هو بمعنى المقاتلة والمحاربة بين اثنين"[5].

والوارد في الآية (لا تقتلوا) على المعنى الأوّل المعروف، وهو بمعنى "أَزال رُوحه عن جسده"[6]

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/78.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/475.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قتل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قتل).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قتل).
(6) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/238.

وقتلُ النّفس في الآية إزهاقُ روحِ رجلٍ من بني اسرائيل[1].

2) ﴿نَفْسًا﴾: من الجذر اللّغويّ (نفس)، وهو "يدُلُّ على خروج النَّسيم كيف كان، من ريحٍ أو غيرها... والنّفسُ: الدَّمُ، وهو صحيحٌ، وذلكَ أنَّه إذا فُقِدَ الدَّمُ من بَدن الإنسان فَقَدَ نفسَهُ"[2].

وهو شيءٌ "لطيفٌ يسري في فُتُوقٍ أثناء الشّيءِ فيصلحُه ويتيحُ لهُ التّصرفَ. كالنّفَسِ في أثناءِ بدنِ الحيِّ فهو علامةُ حياتِه الّتي تتيحُ لهُ التّصرفَ"[3].

ومعنى ذلك أنّ النّفسَ يعبّرُ بها عن الإنسان، وهو تعبيرٌ مجازيٌّ وفقًا لمَا سبق، وهو كذلك في هذه الآية؛ فالأنفسُ هم المخاطَبونَ بهذه الآية، وقد يكون معناها الرُّوحُ[4]، والنّفس في الآية بمعنى الشّخص[5]؛ فهم قد قتلوه حقيقة.

3) ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾: أصله (تَدارَأْتُم): (تفاعَلْتم)، وجذره اللّغويّ (درأ)، وقُلبت التّاءُ دالاً فصار (ادّدَارَأْتم)، ثمّ أُدغمت فصار (ادَّارأتم)[6]، والأصل في معناه يأتي من الدَّفع، كقولهم "درأتُ الشّيء: دفعتُه"[7]، ومن معانيه أيضًا "الميل إلى أحد الجانبين... وفلان ذو تَدَرُّؤٍ، أي: قويّ على دفع أعدائه، ودَارَأْتُهُ: دافعتُه"[8].

ومعنى (فادّارأتم) في الآية، أي: تدافعتم، وهو تدافع معنويّ؛ فكلّ واحد يريد أن يدفع الجريمة عن نفسه ويبرئها[9].

4) ﴿مُخۡرِجٞ﴾: والجذر اللّغويّ له (خرج)، ومنه الخروجُ، وهو"نقيض الدُّخول... والخُروجُ: السّحاب أوّل ما يبدأ، والخَرْجُ والخَراجُ: ما يُخرَجُ من المال في السّنة بقَدْرٍ مَعلوم"[10].

---

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/130.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نفس).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نفس).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (نفس).
(5) الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 2/182.
(6) السّمين، الدّرّ المَصون: 1/434.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (درى).
(8) الرّاغب، المفردات: (درأ).
(9) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 1/398.
(10) الخليل، العين: (خرج).

والأصل في معناه على ضربين؛ الأوّل: وهو المقصود أن ينفذ عن الشّيء، ومنه الخَراجُ، أي: "الإتاوةُ؛ لأنَّه مالٌ يُخرِجُه المُعطِي...والخُروجُ: خُروجُ السَّحابة؛ يُقالُ: ما أَحسَنَ خُروجَها"[1]، فالمعنى الظّهور والبروز والنّفاذ عن الشّيء؛ لذلك يُقال هذا لكلّ من برز من مكان قراره أو وضعه، إن كان ذلك المقَرُّ بيتًا أو مَوطنًا أو لباسًا، أو غير ذلك، ولو كان حالة نفسيّة[2].

ومعنى ﴿مُخْرِجٌ﴾: مُظهِرٌ الأمرَ الّذي تخفونه، وهو أمر القتل[3].

5) ﴿تَكْتُمُونَ﴾: من الكتم والكتمان، وهو يناقض الظّهور والإعلان[4]، والأصل في معناه دلالته على الاستتار والإخفاء، ككتمان الحديث[5].

"وحقيقة الكتم ستر الشّيء وتغطيته"[6]، وهذه المعاني مُتقاربة، وهي المقصودة في الآية الكريمة، وما جاء في القرآن الكريم من اشتقاق هذه اللّفظة معناه: حبس القول الموجود في الفؤاد، كالشّهادة أو العقيدة أو نحوها[7].

و﴿تَكْتُمُونَ﴾ في الآية بمعنى: تخفون وتُغيِّبون[8].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

واذكروا - يابني إسرائيل - حين قتلتم واحدًا منكم في ذلك الوقت الّذي ارتكبتم جُرمكم في إزهاق رُوح إنسان بريء.

ونسب اللّه القتل إليهم جميعًا إشارة إلى وُقوعِ قَتلٍ فيهم دون إنكار، وهي طريقةُ القُرآن في إسناد أفعال البعض إلى الجميع؛ جَريًا على طريقة العرب في قَولِهم: قَتَلَت بَنو فُلانٍ فُلانًا[9]، فلمّا علموا ذنبهم تدافعوا واختلفوا، كلٌّ يدفع التّهمة عن نفسه، ويلقيها على غيره، حتى تنازعتم، ولكنّ اللّه تعالى بعلمه سَيُظْهِرُ ما تخفونه من أمر الجريمة،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خرج).
(2) الرّاغب، المفردات: (خرج).
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/284.
(4) الخليل، العين: (كتم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كتم).
(6) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (كتم).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كتم).
(8) الشّوكانّي، فتح القدير: (كتم).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/560.

وإرادتكم "الإيقاع بقوم بُرآء تَتَّهمونَهُم بالقتل؛ لإخفاء القاتل؛ لأنَّه لا يَخفى عليه مَكرُكُم"[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغة قوله ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾، ودلالة صيغةِ الافتعالِ فيه:

تصويرُ حرصِ بني إسرائيل على تبرئة النّفس واتّهام الآخَر

في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ تعبير فريد من نوعه لم يَرد في القرآن الكريم إلَّا في هذا المَوضِع، وفعلُ "تَدَارَأْتُم: تَفاعُلٌ مِنَ الدَّرء، وهو الدَّفعُ؛ لأنّ كُلَّ فريقٍ يَدفعُ الجِنايةَ عَن نَفسِهِ، فلمَّا أُريدَ إدغامُ التَّاء في الدَّال على قاعدة تاءِ الافتِعالِ معَ الدَّالِ والذَّالِ جُلِبَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ لِتَيْسِيرِ التَّسْكِينِ لِلْإِدْغَامِ"[2].

و"التّدارؤ هنا إمّا مجاز عن الاختلاف والاختصام، أو كناية عنه، إذ المتخاصمان يدفع كلٌّ منهما الآخر، أو مستعمل في حقيقته، أعني التّدافع بأن طرَح قتلَها كلٌّ عن نفسه إلى صاحبه، فكلٌّ منهما من حيث إنَّه مطروح عليه يدفع الآخر من حيث إنَّه طارح، وقيل: إنّ طرح القتل في نفسه نفس دفع الصّاحب، وكلٌّ من الطّارِحَيْن دافع، فتطارحهما تدافع، وقيل: إنَّ كلّا منهما يدفع الآخر عن البراءة إلى التّهمة، فإذا قال أحدهما: أنا بريء وأنت متّهم، يقول الآخر: بل أنت المتّهم وأنا البريء، ولا يخفى أنّ ما ذكر على ما فيه بالمجاز أليق، ولهذا عدّ ذلك أبو حيّان من المجاز"[3]؛ فأفاد هذا الفعلُ تصويرَ التّدافع والتّخاصم إلى منتهاه؛ بحيث يتداخل البريء والمتّهم؛ فلا يستبين الحقّ، ولا يظهر الجاني.

بلاغة التَّعبير بالاسم ﴿مُخۡرِجٞ﴾ لا الفعل:

إخراجُ الله لما يكتمُه النَّاس ثابتٌ، فإن تجدَّد الكتمُ تجدَّد الإخراج

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ جملة اسميّة محكيّة، وجاء الخبر (مُخرج) اسمًا، لا فعلًا فلم يقل: (والله أَخْرَجَ)، وسرُّ التّعبيرِ بالصّيغةِ الاسميّة؛ لدلالتها على الثّبوت والاستقرار[4]، وقد

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/290.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/560.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 1/293.
(4) الرّضي، شرح الرّضي على الكافية: 1/316.

أخرج الحقّ تبارك وتعالى ما كان أصحاب البقرة يخفونه من أمر القاتل، وهذا الخطاب ليس مُوجَّهًا لبني إسرائيل، بل هو خطاب عامّ مَبنيّ "على تَنزيل المُخاطَبين مَنزلةَ أَسلافِهِم لِحَملِ تَبِعَتِهِم عليهم بناء على ما تقَرَّرَ مِن أنَّ خُلُقَ السَّلَفِ يَسري إلى الخَلَف"[1]، ويتوافر على رسالة هي أنّه تعالى "عالمٌ بجميع المعلومات، وإلَّا لـمَا قَدَرَ على إظهارِ ما كَتَموهُ"[2]، ويعلم ما يكتمه المرء؛ بدلالة الاسم الدّالّ على الثّبوت، أي: أنّه تعالى يعلم دائمًا ما تكتمونه، وأنّ الأمر ليس مُتعلِّقًا بقصة قتيل بني إسرائيل.

سرُّ تقديم ذبح البقرة على قتل النَّفس:

من باب تقدّم النّعمةِ على الذّنب

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، تقديمٌ وتأخير، فالآية بتمامها مُؤخَّرة في اللّفظ والتّلاوة، مُقدَّمة في الوقوع، "فالآيتان في قوّة أن لو قيل: وإذ قتلتم نفساً فادّرأتم فيها، فأمرتم بذبح البقرة، فأوضّح لكم ذلك حكم القتيل"[3].

ولأنّ ذبح البقرة كان سببًا في معرفة القتيل من خلال قوله تعالى: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وسبب ذلك أنّهم كانوا مختلفين في القاتل قبل الذّبح، فلمّا أنزل الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67] "علم المخاطَبون أنّ البقرة لم تُذبَح إلاّ للدّلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلمّا استقرّ علم هذا في نفوسهم أتبعه بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ على جهة التّوكيد، لا أنّه عرّفهم الاختلاف في القاتل بعد أن دلّهم على ذبح البقرة"[4].

ففائدة تقديم الذّبح في الذّكر أنّ آياتِ البقرة سِيقت لبيان النّعم كما تقدّم، فناسب تقدّم ذكر النّعمة على ذكر الذّنب[5]، و"ليتوجّه العتاب إليهم مرّتين على ترك المسارعة لامتثال أمر نبيّهم، وعلى قتل النّفس، ولو قدّمها لكانت قصّة واحدة بتوبيخ واحد"[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/561.
(2) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 3/133.
(3) ابن الزبير، مِلاك التّأويل: 2/363.
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 3/56.
(5) ابن جماعة، كشف المعاني، ص: 102.
(6) ابن عجيبة، البحر المديد: 1/106.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»